

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً، وكان آدم شفيحاً له يوم القيامة»<sup>(1)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة الأنفال مدنية

يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَوْا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا دَاتَ بَيْتِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ عِلَّةٌ مِنْهُ إِذَافَةٌ يُمَاقِلِينَ إِذَا نَزَلَ بِالسَّيْفِ فَذَبَحُوا وَإِنَّمَا كُنْتُمْ لِنَاصِرِهِمْ يَوْمَ يَأْتِي السَّيْفَ بِذِكْرِهِمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ صَالِحُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَأْتُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ عَدَاوَةً بَلْ كَانُوا بَيْنَ يَدَيْهِ خَائِفِينَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ دَرَجَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

النفل الغنيمة؛ لأنها من فضل الله تعالى وعطائه. قال لبيد:

إِنْ تَقَوَّى رَبَّنَا خَيْرِ نَفْلِ

والنفل ما ينفله الغازي أي: يعطاه زائداً على سهمه من المغنم، وهو: أن يقول الإمام تحريضاً على البلاء في الحرب: من قتل قتيلاً فله سلبه، أو قال لسرية: ما أصبتم فهو لكم، أو فلکم نصفه، أو ربعه، ولا يخمس النفل، ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه، وعند الشافعي رحمه الله في أحد قوليه: لا يلزم، ولقد وقع الاختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها، فسألوا رسول الله ﷺ كيف تقسم؟ ولمن الحكم في قسمتها؟ للمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعاً؟ ف قيل له: قل لهم: هي لرسول الله ﷺ، وهو الحاكم فيها خاصة، يحكم فيها ما يشاء، ليس لأحد غيره فيها حكم، وقيل: شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن ينفله، فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين، وأسروا سبعين، فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا، فقال الشبان: نحن المقاتلون، وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات: كنا رداً لكم وفئة تنحازون إليها إن انهزمت<sup>(2)</sup>، وقالوا لرسول الله ﷺ: المغنم قليل والناس كثير، وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك، فنزلت، وعن سعد بن أبي وقاص: قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص، وأخذت سيفه فأعجبني، فجنحت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: إن الله قد شفى صدري من

المشركين فهب لي هذا السيف، فقال: «ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض، فطرحته وبني ما لا يعلمه إلا الله تعالى من قتل أخي وأخذ سلبه، فماجاوزت إلا قليلاً حتى جاءني رسول الله ﷺ وقد أنزلت سورة الأنفال: «فقال: يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي، وإنه قد صار لي فاذهب فخذ»<sup>(3)</sup>، وعن عبادة بن الصامت: نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله ﷺ فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله، وطاعة رسوله، وإصلاح ذات البين<sup>(4)</sup>، وقرأ ابن محيصن: يسألونك علففال بحنف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام، وقرأ ابن مسعود: يسألونك الأنفال، أي: يسالك الشبان ما شرطت لهم من الأنفال.

فإن قُلْتُ: ما معنى الجمع بين نكر الله والرسول في قوله ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾؟ قُلْتُ: معناه أن حكمها مختص بالله ورسوله، يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته، ويمتثل الرسول أمر الله فيها، وليس الأمر في قسمتها مفوضاً إلى رأي أحد، والمراد أن الذي اقتضته حكمة الله وأمر به رسوله أن يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم، فإنهم إن فعلوا لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي ﴿فاتقوا الله﴾ في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متأخين في الله ﴿وواصلحوا ذات بينكم﴾ وتأسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم، وعن عطاء: كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال: اقسوا غنائمكم بالعدل فقالوا: قد اكلمنا وانفقنا، فقال: ليرد بعضكم على بعض.

فإن قُلْتُ: ما حقيقة قوله ذات بينكم؟ قُلْتُ: أحوال بينكم، يعني: ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق بقوله: ﴿بذات الصلور﴾<sup>(5)</sup> وهي مضمراتها لما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها: ذات البين كقولهم: أسقني ذا إنائك، يريدون ما في الإناء من الشراب، وقد جعل التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الإيمان وموجباته ليعلمهم أن كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها، ومعنى قوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن كنتم كاملي الإيمان، واللام في قوله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ إشارة إليهم أي: إنما الكاملون الإيمان من صفتهم كيت وكيت واللبليل عليه قوله: ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾ ﴿وجلت قلوبهم﴾

(4) رواه أحمد في مسنده (322/5).

(5) شطر آية ورد في اثني عشر موضعاً منها: سورة آل عمران، الآية: 119.

(1) نكره ابن الجوزي في الموضوعات والتعلبي والذيلي، الزيلعي 1/ 483.

(2) أخرجه أبو داود في كتاب: الجهاد، باب: في النفل، (الحديث رقم: 2737)، والحاكم في المستدرک 2/ 326.

(3) رواه أحمد في مسنده (181/1) وأبو عبيدة في الأموال (الحديث رقم 756).

فقال له: هلا اقتديت به في قوله: ﴿أولم تؤمن قال بلى﴾<sup>(4)</sup> **﴿درجات﴾** شرف وكرامة وعلو منزلة **﴿ومغفرة﴾** وتجاوز لسيئاتهم **﴿ورزق كريم﴾** نعيم الجنة، يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب.

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْنِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُحَدِّثُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يُبْعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنهَذَا لَكُمْ وَوَدُّرْتُمْ أَنْ عَزَّ ذَاتُ الشُّرْكَاءِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَيِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَنْقِطَ دَائِرَ الْكُفْرَيْنِ ﴿٧﴾ لِيُحَيِّقَ الْحَقَّ وَيَبْطُلَ الْبَطُلُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَعْيِنُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنَّى سَأَلْتُمْ بِأَنَّ مِنْ الْمَلَكِ مُحَمَّدٌ مُرْسِلٌ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا وَيُظَمِّنُ بِهِ قُلُوبَكُمْ وَمَا أَلْمَزْتُمْ إِلَّا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يَبْسُفِيكُمْ السُّمَّاسَ أُمَّةً مِنْهُ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَيُرِيضُ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُنَبِّئُ بِهِ الْأَنْبَاءَ ﴿١١﴾.

**﴿كما أخرجك ربك﴾**<sup>(5)</sup> فيه وجهان: أحدهما: أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعني: أن حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب، والثاني: أن ينتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله: **﴿الأنفال لله والرسول﴾**<sup>(6)</sup> أي: الأنفال استقرت لله والرسول وثبت مع كراهتهم ثباتاً مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون و **﴿من بيتك﴾** يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها؛ لأنها مهاجرة ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه **﴿بالحق﴾** أي: إخراجاً ملتبساً بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه **﴿وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون﴾** في موضع الحال أي: أخرجك في حال كراهتهم، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم، فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم،

فزعت، وعن أم الدرداء: الوجع في القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى، قالت: فادع الله فإن الدعاء يذهب، يعني فزعت لذكره استعظماً له وتهيباً من جلاله وعزة سلطانه ويطشه بالعصاة وعقابه، وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله: **﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾**<sup>(1)</sup>؛ لأن ذلك ذكر رحمته ورفقته وثوابه، وقيل: هو الرجل يريد أن يظلم أو يهجم بمعضية فيقال له: اتق الله فينزع، وقرئ: وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق، وفي قراءة عبد الله: فرقت **﴿زالنهم إيماناً﴾** ازدادوا بها يقيناً وطمانينة نفس؛ لأن تظاهر الأدلة أقوى للمللول عليه وأثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل، وعن أبي هريرة رضي الله عنه الإيمان سبع وسبعون شعبة أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان<sup>(2)</sup>، وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إن للإيمان سنناً وفرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. **﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾** ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون إلا إياه. جمع بين أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل، وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة.

**﴿حقاً﴾** صفة للمصدر المحذوف أي: أولئك هم المؤمنون إيماناً حقاً، أو هو مصدر مؤكد للجملة التي هي: أولئك هم المؤمنون كقولك: هو عبد الله حقاً أي: حق ذلك حقاً، وعن الحسن: أن رجلاً سأل أمؤمن أنت؟ قال: الإيمان إيمانان: فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، والجنة، والنار، والبعث، والحساب فإنا مؤمن. وإن كنت تسألني عن قوله: **﴿إنما المؤمنون﴾** فوائه لا أدري أمنهم أنا أم لا؟ وعن الثوري: من زعم أنه مؤمن بالله حقاً، ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة، فقد آمن بنصف الآية. وهذا إلزام منه يعني: كما لا يقطع بانه من أهل ثواب المؤمنين حقاً فلا يقطع بانه مؤمن حقاً، وبهذا تعلق من يستثنى في الإيمان، وكان أبو حنيفة رضي الله عنه ممن لا يستثنى فيه، وحكي عنه أنه قال لقتادة: لم تستثنى في إيمانك؟ قال: أتباعاً لإبراهيم عليه السلام في قوله: **﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾**<sup>(3)</sup>

يذكر في معنى الآية وجهاً أوجه من هذين، وهو أن المراد: تشبيه اختصاصه عليه السلام بالأنفال، وتفويض أمرها إلى حكمه من حيث الإثابة، والجزاء بإخراجه من بيته مطيعاً لله تعالى سامعاً لأمره راضياً بحكمه على كراهة المؤمنين لذلك في الطاعة، فشبّه الله تعالى ثوابه بهذه المزية بطاعته المرضية، فكما بلغت طاعة الغاية في نوع الطاعات، فنكلك بلغت إثابة الله له، الغاية في جنس المثوبات، وجماع هذا المعنى هو: المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام الأجر، على قدر النصب، ولك على هذا المعنى أن تجعل الكاف مرفوعة، ومنصوبة على حسب التقدير، والله الموفق.

(6) سورة الأنفال، الآية: 1.

(1) سورة الزمر، الآية: 23.

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: عدد شعب الإيمان (الحديث رقم: 151) وأخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في رد الإرجاء (الحديث رقم: 4676)، والترمذي في كتاب: الإيمان باب: ما جاء في استكمال الإيمان وزياته ونقصانه (الحديث رقم: 2614)، والنسائي في كتاب: الإيمان وشرائطه، باب: شعب الإيمان (الحديث رقم: 5004)، وابن ماجه في كتاب: المقامة، باب في الإيمان (الحديث رقم: 57).

(3) سورة الشعراء، الآية: 82.

(4) سورة البقرة، الآية: 265.

(5) قال أحمد: وكان جدي أبو العباس أحمد الفقيه الوزير رحمه الله، =

فنادى أبو جهل فوق الكعبة، يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول، غيركم أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبداً. وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها: إني رأيت عجباً! رأيت كأن ملكاً نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة، فحدث بها العباس، فقال أبو جهل: ما يرضي رجالهم أن يتنبؤوا حتى تنتبأ نساؤهم، فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير في المثل السائر: لا في العير ولا في النفير، فقيل له: إن العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة، فقال: لا والله لا يكون ذلك أبداً حتى ننحر الجوز ونشرب الخمر ونقيم القينات والمعازف بيدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا، وإن محمداً لم يصب العير وإنا قد أعضضناه، فمضى بهم إلى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماً في السنة، فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله وعيدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريشاً، فاستشار النبي ﷺ أصحابه وقال: «ما تقولون إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير؟» قالوا: بل العير أحب إلينا من لقاء العدو، فتغير وجه رسول الله ﷺ ثم رد عليهم فقال: «إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل». فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو، فقام عند غضب النبي ﷺ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا، ثم قام سعد بن عباد فقال: انظر أمرك فامض، فوالله لو سرت إلى عين أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار، ثم قال المقداد بن عمرو: يا رسول الله امض لما أمرك الله، فإننا معك حيث لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: «أذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون»<sup>(1)</sup> ولكن أذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف، فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: «أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الأنصار؛ لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة: إنا براء من نمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في نمامنا نمنع مما نمنع أباءنا ونساءنا، فكان النبي ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار لا ترى عليهم نصرته إلا على عدو دمه بالمدينة، فقام سعد بن معاذ فقال: لكانك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل قال: قد أمانا بك ومصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أرت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف

﴿بعد ما تبين﴾ بعد إعلام رسول الله ﷺ بأنهم ينصرون. وجدالهم قولهم: ما كان خروجنا إلا للعير، وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب، وذلك لكراهمتهم القتال. ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعيبهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من يعتل إلى القتل ويساق على الصغار إلى الموت المتيقن وهو مشاهد لأسباب ناظر إليها لا يشك فيها، وقيل: كان خوفهم لقلّة العدد وأنهم كانوا رجالة، وروي أنه ما كان فيهم إلا فارسان ﴿إن﴾ منصوب بإضمار انكر. و﴿إنها لكم﴾ بدل من إحدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير و﴿غير ذات الشوك﴾ العير؛ لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارساً، والشوك كانت في النفير لعددهم وعنتهم، والشوك الحدة مستعارة من واحدة الشوك، ويقال: شوك القنا لشباهها، ومنها قولهم: شاك السلاح، أي تتمنون أن تكون لكم العير؛ لأنها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الأخرى ﴿أن يحق الحق﴾ أن يثبت ويعليه ﴿بكلماته﴾ آياته المنزلة في محاربة ذات الشوك، وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة، وبما قضى من أسرههم وقتلهم وطردهم في قلب بدر، والدابر الآخر فاعل من دبر إذا أدير، ومنه دابرة الطائر، وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال<sup>(3)</sup> يعني: أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفاسف الأمور وأن لا تلقوا ما يرزؤكم في أبدانكم وأحوالكم، والله عز وجل يريد معالي الأمور وما يرجع إلى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين، وشتان ما بين المرادين، ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوك وكسر قوتهم بضعفكم، وغلب كثرتهم بقلبتكم وأعزكم وأنلهم، وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها. وقرئ: بكلمته على التوحيد.

(1) سورة المائدة، الآية: 24.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة الأنفال، (الحديث رقم: 3080) وأحمد في مسنده 229/1، والحاكم في المستدرک 327/2.

(3) قال أحمد: والتحقيق في التمييز بين الكلامين، أن الأول نكرت الإراءة فيه مطلقاً، غير مقيدة بالواقعة الخاصة، كأنه قيل وتوون =

== أن غير ذات الشوك تكون لكم، ومن شأن الله تعالى إرادة تحقيق الحق، وتحقيق الكفر على الإطلاق، وإرادته أن يحق الحق، ويبطل الباطل خصمك بذات الشوك، فبين الكلامين عموم، وخصوص، وإطلاق، وتقييد، وفي ذلك ما لا يخفي من المبالغة في تأكيد المعنى، بنكره على وجوب إطلاق، وتقييد، والله أعلم.

السواد ويثبتون المؤمنين، وإلا فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم، فإن جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط، وأهلك بلاد ثمود قوم صالح بصيحة واحدة. وقرئ: مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه إذا تبعه ومنه قوله تعالى: ﴿رديف لكم بعض الذي تستعجلون﴾<sup>(4)</sup> بمعنى: ردفكم وأردفته إياه إذا أتبعته، ويقال: أردفته كقولك: أتبعته إذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى: متبعين أو متبعين، فإن كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضاً، أو متبعين بعضهم لبعض، أو بمعنى متبعين إياهم المؤمنين أي: يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم، أو متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين أيديهم وهم على ساقاتهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم، أو بمعنى: متبعين أنفسهم ملائكة آخرين، أو متبعين غيرهم من الملائكة، ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾<sup>(5)</sup> ﴿بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾<sup>(6)</sup> ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى: متبعين أو متبعين. وقرئ: مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال وأصله مرتدفين أي: متردفين أو متبعين من ارتدفة فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الأصل، أو على اتباع الدال، وبالضم على اتباع الميم، وعن السدي: بألف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران.

فإن قُلْتُ: فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بإرداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم؟ قُلْتُ: بأن المراد بالالف من قاتل منهم أو الوجوه منهم الذين من سواهم أتباع لهم.

فإن قُلْتُ: إلام يرجع الضمير في ﴿وما جعله﴾؟ قُلْتُ: إلى قوله: ﴿أني ممدكم﴾ لأن المعنى: فاستجاب لكم بإمدانكم.

فإن قُلْتُ: ففيم قرأ بالكسر؟ قُلْتُ: إلى قوله: ﴿أني ممدكم﴾ لأنه مفعول القول المضمّر فهو في معنى القول ويجوز أن يرجع إلى الإمداد الذي يدل عليه ممدكم ﴿إلا بشري﴾ إلا بشارة لكم بالنصر كالكسبية لبني إسرائيل يعني: أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتمكم وذلتمكم فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكيناً منكم وربطاً على قلوبكم ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فإن الناصر هو الله لكم وللملائكة، أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله، والمنصور من نصره الله ﴿إذ يغشاكم﴾ بدل ثان من ﴿إذ

فإن قُلْتُ: بم يتعلق قوله ﴿ليحق الحق﴾؟ قُلْتُ: بمحذوف تقديره ليحق الحق، ويبطل الباطل فعل نك من فعله إلا لهما وهو: إثبات الإسلام وإظهاره وبطلان الكفر ومحقه.

فإن قُلْتُ: اليس هذا تكريراً قُلْتُ: لا، لأن المعنيين متباينان وذلك أن الأوّل تمييز بين الإرادتين، وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها، وأنه ما نصّره ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو: سيد الأغراض، ويجب أن يقدر المحذوف متأخراً حتى يفيد معنى الاختصاص فينطبق عليه المعنى، وقيل: قد تعلق بيقطع.

فإن قُلْتُ: بم يتعلق ﴿إذ تستغيثون﴾ قُلْتُ: هو بدل من ﴿إذ يعدكم﴾ وقيل: بقوله: ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل﴾، واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله ويقولون أي ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا، وعن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومدّ يديه يدعو: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض، فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر رضي الله عنه فآلقه على منكبه والتزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك<sup>(1)</sup> ﴿أني ممدكم﴾ أصله باتي ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله، وعن أبي عمرو: أنه قرأ إني ممدكم بالكسر على إرادة القول أو على إجراء استجاب مجرى قال: لأن الاستجابة من القول.

فإن قُلْتُ: هل قاتلت الملائكة يوم بدر؟ قُلْتُ: اختلف فيه فقيل: نزل جبريل في يوم بدر في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر، وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيه: علي بن بي طالب، في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض وقد أرخو أئناهبها بين أكتافهم فقاتلت، وقيل: قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الأحزاب ويوم حنين، وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود: من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصاً؟ قال: من الملائكة، فقال أبو جهل: هم غلبونا لا أنتم، وروي أن رجلاً من المسلمين بينما هو يشتد في أثر رجل من المشركين إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر إلى المشرك قد خرّ مستلقياً وشقّ وجهه، فحثّ الأنصاري رسول الله ﷺ فقال: صدقت ذلك من مدد السماء<sup>(2)</sup>، وعن أبي داود المازني: تبعت رجلاً من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي<sup>(3)</sup>، وقيل: لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثر

(4) سورة النمل، الآية: 72.

(5) سورة آل عمران، الآية: 124.

(6) سورة آل عمران، الآية: 125.

(1) رواه مسلم في كتاب: الجهاد والسير باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (الحديث رقم: 4563).

(2) نفس الحديث السابق.

(3) نكره ابن هشام في السيرة 1/633.

وناموا فاحتلم أكثرهم، فقال لهم: أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وأنكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم، ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش، فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة، فحزنوا حزناً شديداً وأشفقوا، فانزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلاً حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله ﷺ وأصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا، وتلبّد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس<sup>(4)</sup>، والضمير في به للماء، ويجوز أن يكون للربط؛ لأنّ القلب إذا تمكن فيه الصبر والجرأة ثبتت القدم في مواطن القتال.

إِذ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ قُوَّةٌ أَلَيْسَ أَمْرًا سَأْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَشْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا بِمَنِّهِمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ سَأَأُوا اللَّهَ رَسُولَهُ وَمَنْ يُسَاقِ اللَّهَ رَسُولَهُ فَكَرِهَ اللَّهُ شِدِيدَ الْعِقَابِ ﴿١٤﴾

﴿إذ يوحى﴾ يجوز أن يكون بدلاً ثالثاً من ﴿إذ يعذبكم﴾ وأن ينتصب بيبثت ﴿إني معكم﴾ مفعول يوحى وقرئ: إني بالكسر على إرادة القول أو على إجراء يوحى مجرى يقول، كقوله: ﴿إني ممّنكم﴾<sup>(5)</sup> والمعنى: إني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله ﴿سألقي... فاضربوا﴾ يجوز أن يكون تفسيراً لقوله: ﴿إني معكم﴾ فثبتوا، ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة، ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم، واجتماعها غاية النصرة، ويجوز أن يكون غير تفسير وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم أن تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدون بالملائكة، وقيل: كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول: إني سمعت المشركين يقولون: والله لئن حملوا علينا لننكشفن، ويمشي بين الصفيين فيقول: أبشروا فإنّ الله ناصركم لأنكم تعبدونه هؤلاء لا يعبدونه. وقرئ: الرعب بالثقليل ﴿فوق الأعناق﴾ أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح لأنها

يعذبكم﴾ أو منصوب بالنصر، أو بما في ﴿من عند الله﴾ من معنى الفعل، أو بما جعله الله، أو بإضمار انكر<sup>(1)</sup>، وقرئ: يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل و ﴿أمنة﴾ مفعول له.

فإن قلّت: أما يجب أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحداً؟ قلّت: بلى ولكن لما كان معنى: يغشاكم النعاس تنعسون انتصب أمنة على أن النعاس والأمنة لهم، والمعنى: إذ تنعسون أمنة بمعنى: أمناً أي؛ لأنكم و ﴿منه﴾ صفة لها أي: أمنة حاصلة لكم من الله عز وجل.

فإن قلّت<sup>(2)</sup>: فعلى غير هذه القراءة قلّت: يجوز أن تكون الأمنة بمعنى: الإيمان أي: ينعسكم إيماناً منه، أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمناً.

فإن قلّت: هل يجوز أن ينتصب على أن الأمنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم أي: يغشاكم النعاس لأمنه على أن إسناد الأمن إلى النعاس إسناد مجازي وهو: لأصحاب النعاس على الحقيقة، أو على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل تلك الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم، وإنما غشيكم أمنة حاصلة من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل؟ قلّت: لا بعد فصاحة القرآن عن احتمالها وله فيه نظائر وقد ألم به من قال:

يهاب النوم أن يغشي عيوننا تهابك فهو نفاش شرود وقرئ: أمنة بسكون الميم ونظير أمن أمنة حيي حياة، ونحو: أمن أمنة رحم رحمة والمعنى: أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا، وعن ابن عباس رضي الله عنه: للنعاس في القتال أمنة من الله، وفي الصلاة وسوسة من الشيطان<sup>(3)</sup> ﴿ويوزل﴾ قرئ: بالتخفيف والثقليل. وقرأ الشعبي: ما ليظهركم به، قال ابن جني: ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكانه قال: ما للظهور، و ﴿رجز الشيطان﴾ وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش وقيل: الجنابة؛ لأنها من تخييله، وقرئ: رجس الشيطان، وذلك أنّ إبليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء ونزل المسلمون في كتيب أغفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء

= السؤال أن يقول المعتبر أن يكون فاعل الفعل متصفاً بالعلة، كما هو متصف بالفعل والباري عز وجل، وإن كان خالق الأمنة للعبد، وكان بها أمناً، فالعبد هو الفاعل اللغوي، وإن كان الله تعالى هو الفاعل حقيقة، عقيدة وحينئذ يفترق السؤال إلى الجواب السالف، والله الموفق.

(2) قال أحمد: وجه حسن بشرط الأدب في إسقاط لفظة التخييل، وقد تقدمت له أمثاله.

(3) رواه عبد الرزاق في مصنفه 499/2 (الحديث رقم: 4219).

(4) نكره الثعلبي والطبري في تفسيرهما، وأبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة.

(5) سورة الأنفال، الآية: 9.

(1) قال أحمد: ومثل هذا النظر يجري عند قوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾، لأنّ فاعل الإرادة، هو: الله عز وجل، وفاعل الخوف، والطمع هم، وقد انتصبا مفعولاً لهما، فالجواب أنه لما كان الله تعالى إذا أراه البرق راؤه كانوا فاعلين في المعنى، وكان المعنى، وهو الذي يريكم البرق، فترونه خوفاً وطمعاً، فهذا مثل آية الأنفال، فإن المفعول في المعنى فاعل، وسيأتي مزيد بحث في هذه النكتة، وقد جرى القلم بتعجيلها ههنا، وذلك أنّ لقاتل أن يقول فاعل يغشى النعاس إياهم هو الله تعالى، وهو فاعل الأمنة أيضاً، وخالفها، وحينئذ يتحد فاعل الفعل، والعلة، فيرتفع السؤال، ويزول الإشكال على قواعد السنة، التي تقتضي نسبة أفعال الخلق إلى الله تعالى، على أنه خالقها ومبدعها، ولمورد =

الصبي إذا دبّ على إسته قليلاً قليلاً، سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى: إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفرّوا فضلاً أن تذاونهم في العدد أو تساوهم، أو حال من الفريقين أي: إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم، أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثني عشر ألفاً، وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ.

وفي قوله: ﴿ومن يولهم يومئذ﴾ أمانة عليه ﴿إلا متحرّفاً لقتال﴾ هو: الكرّ بعد الفرّ يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه، وهو: باب من خدع الحرب ومكابدها ﴿أو متحيزاً﴾ أو منحازاً ﴿إلى فئة﴾ إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها، وعن ابن عمر رضي الله عنه: خرجت سرية وأنا فيهم ففرّوا، فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت، فقلت يا رسول الله: نحن الفرّارون، فقال: بل أنتم العكارون وأنا فئتكم<sup>(1)</sup>، وانهزم رجل من القاسية فاتى المدينة إلى عمر رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين هلكت، فررت من الزحف، فقال عمر رضي الله عنه: أنا فئتكم<sup>(2)</sup>، وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنّ الفرار من الزحف من أكبر الكبائر.

فإن قلّنت: بم انتصب ﴿إلا متحرّفاً﴾؟ قلّنت: على الحال والإلغى، أو على الاستثناء من المولين أي: ومن يولهم إلا رجلاً منهم متحرّفاً أو متحيزاً. وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعّل؛ لأنه من حاز يحوز، فبناء متفعّل منه متحوز.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَبُّنَّ وَيَسْبِقُ الْأُمُورَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسْبًا إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وأقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول: قتلت، وأسرت<sup>(3)</sup>، ولما طلعت قريش قال رسول الله ﷺ: هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكتنبون رسلك، اللهم إني أسالك ما وعدتني، فأناه جبريل عليه السلام فقال: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه: أعطني قبضة من حصباء الوادي، فرمى بها في وجوههم وقال: شامت الوجوه، فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا، ورفههم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم<sup>(4)</sup> فليل لهم ﴿فلم

مفاصل، فكان إيقاع الضرب فيها حرّاً وتطهيراً للرؤوس، وقيل: أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق يعني: ضرب الهام قال:

وأضرب هامة البطل المشيح وغشيته وهو في جاواه باسلة  
عضباً أصاب سواء الراس فانفلقا

والبنان الأصابع يريد الأطراف، والمعنى: فاضربوا المقاتل والشوى؛ لأنّ الضرب إما واقع على مقتل أو غير مقتل، فأمرهم بأن يجمعوا عليهم النوعين معاً، ويجوز أن يكون قوله: ﴿سألقي﴾ إلى قوله: ﴿كل بنان﴾ عقيب قوله: ﴿ففتبتوا الذين آمنوا﴾ تلقيناً للملائكة ما يثبتونهم به، كأنه قال: قولوا لهم قولي ﴿سألقي﴾ في قلوب الذين كفروا الرعب، أو كأنهم قالوا: كيف نثبتهم فقيل: قولوا لهم قولي ﴿سألقي﴾ فالضاربون على هذا هم المؤمنون.

ذلك إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحلّه الرفع على الابتداء ﴿وبانهم﴾ خبره أي: نك العقاب وقع عليهم بسبب مشافتهم والمشافة مشتقة من الشق؛ لأنّ كلا المتعاضدين في شق خلاف شق صاحبه، وسئلت في المنام عن اشتقاق المعادة فقلت: لأنّ هذا في عدوة وذلك في عدوة كما قيل: المخاصمة والمشافة؛ لأنّ هذا في خصم أي في جانب وذلك في خصم، وهذا في شق وذلك في شق، والكاف في ذلك لخطاب الرسول عليه السلام أو لخطاب كل واحد وفي:

ذَيْكُمُ فَذُرُّوهُ وَأَنْتَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨﴾

﴿نلكم﴾ للكفرة على طريقة الالتفات ومحل نلكم الرفع على نلكم العقاب أو العقاب نلكم ﴿فذوقوه﴾ ويجوز أن يكون نصباً على عليكم نلكم فذوقوه كقولك: زيداً فاضربه ﴿وإن للكافرين﴾ عطف على نلكم في وجهيه، أو نصب على أنّ الواو بمعنى: مع، والمعنى: نوقوا هذا العذاب العاجل مع الأجل الذي لكم في الآخرة، فوضع الظاهر موضع الضمير، وقرأ الحسن: وإنّ للكافرين بالكسر.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا نَحْوَ فَلَ تُولُوهُمْ  
الْأَدْبَارَ ﴿٩﴾ وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقَوْلِي أَوْ مَحْزَبًا  
إِنَّكَ فِتْنَةٌ فَكَذَّبَ بَاءً يَضْرِبُ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَنَهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَ  
الْمَوْجِئَ ﴿١٠﴾

﴿زحفاً﴾ حال من الذين كفروا، والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرتة كأنه يزحف أي: يدب دبيباً من زحف

== وجوه القدرة بالزء، وذلك أنّ الله تعالى أثبت الفعل للخلق، ونفاه عنهم، ولا محمل لذلك، إلا أنّ ثبوته لهم مجاز، والفاعل، والخالق حقيقة، هو: الله تعالى، فأنبته لهم مجازاً، ونفاه عنهم، حقيقة، وإياك أن تخرج على تمكيس الزمخشري في تأويل الآية، فإنه نظر أعوج، وباطل مخلج، والحق أبلج، والله الموفق بكرمه.

(4) أخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: في غزوة حنين (الحديث رقم: 4595).

(1) أخرجه أبو داود في كتاب: الجهاد، باب ما جاء في الفرار من الزحف (الحديث رقم: 1716) وأحمد في مسنده (2/86).

(2) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في 538/12 كتاب الجهاد باب الفرار من الزحف.

(3) قال أحمد رحمه الله: أوضح مصداق في التمييز بين الحقيقة، والمجاز ألا تراك تقول للبليد ليس بحمار، ويصدق عليه مع صدق قولك فيه على سبيل التجاوز إنه حمار، فإذا ثبت لك أنّ من ميزات المجاز صدق سلبه بخلاف الحقيقة، فافهم أنّ هذه الآية تكفح =

تستفتحوا﴾ خطاب للمؤمنين ﴿وإن تنتهوا﴾ خطاب للكافرين يعني: وإن تنتهوا عن عداوة رسول الله ﷺ فهو خير لكم﴾ وأسلم ﴿وإن تعوبوا﴾ لمحاربهته ﴿تعد﴾ لنصرته عليكم ﴿وإن الله﴾ قرئ بالفتح علي ولأن الله معين المؤمنين كان ذلك، وقرئ: بالكسر وهذه أوجه، ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين. وقرئ، ولن يغني عنكم بالياء للفصل.

يَأْتِيَا الزَّيْرَ مَأْمُورًا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿١٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٧﴾

﴿ولا تولوا﴾ قرئ بطرح إحدى التاءين وإدغامها، والضمير في ﴿عنه﴾ لرسول الله ﷺ؛ لأن المعنى: وأطيعوا رسول الله ﷺ كقوله: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾<sup>(١)</sup> ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾<sup>(٢)</sup> فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقولك: الإحسان والإجمال لا ينفع فلا فلان، ويجوز أن يرجع إلى الأمر بالطاعة أي: ولا تولوا عن هذا الأمر وامثاله وأنتم تسمعون، أو ولا تتولوا عن رسول الله ﷺ ولا تخالفوه ﴿وأنتم تسمعون﴾ أي: تصنفون؛ لأنكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا﴾ أي: ادعوا السماع ﴿وهم لا يسمعون﴾ لأنهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين، والمعنى: أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة، فإذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلاً تصديق، وأشبهه سماعكم سماع من لا يؤمن.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمَّ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وَكَوَيْلًا لَهُمْ فِيهِمْ خَيْرًا لَّاسْمِعَهُمْ وَكُوَيْلًا لَهُمْ مُمْرُسُونَ ﴿١٧﴾

ثم قال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ أي: إن شر من يذب على وجه الأرض أو إن شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه، جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ﴿ولو علم الله﴾ في هؤلاء الصم البكم ﴿خيراً﴾ أي: انتفاعاً باللفظ ﴿لاسمعهم﴾ للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين، ثم قال ﴿ولو اسمعهم لتولوا﴾ عنه يعني: ولو لطف بهم<sup>(٤)</sup> لما نفع فيهم اللطف فلذلك منحهم

تقتلهم﴾ والفاء جواب شرط محذوف تقديره إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلهم ﴿ولكن الله قتلهم﴾ لأنه هو الذي أنزل الملائكة، وألقى الرعب في قلوبهم، وشاء النصر والظفر، وقوي قلوبكم، وأذهب عنها الفزع والجزع ﴿وما رميت﴾ أنت يا محمد ﴿إذ رميت ولكن الله رمى﴾ يعني: أن الرمية التي رميتها لم ترها أنت على الحقيقة؛ لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر، ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم، فثبت الرمية لرسول الله ﷺ لأن صورتها وجدت منه، ونفاها عنه لأن أثرها الذي لا تطيقه البشر فعل الله عز وجل، فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة، وكأنها لم توجد من الرسول عليه الصلاة والسلام أصلاً، وقرئ: ﴿ولكن الله قتلهم﴾ ﴿ولكن الله رمى﴾ بتخفيف لكن ورفع ما بعده ﴿وليبيي المؤمنين﴾ وليعطيهم ﴿بإلاء حسناً﴾ عطاء جميلاً. قال زهير:

فإبلاهما خير البلاء الذي يبلى

والمعنى: ولالإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل، وما فعله إلا لذلك ﴿إن الله سميع﴾ لدعائهم ﴿عليم﴾ بأحوالهم.

ذِكْرُكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُؤَنِّدُ الْكٰفِرِيْنَ ﴿١٨﴾

﴿ذلكم﴾ إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي: الغرض ذلكم ﴿وأن الله موهن﴾ معطوف على ذلكم يعني: أن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين، وقرئ: موهن بالتشديد، وقرئ على الإضافة وعلى الأصل الذي هو التتوين والإعمال.

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَبُهِرَ لَكُمْ وَإِنْ تَوَدُّوْا نَعْدَ وَكُنْ تَعُوْا عَتَكُمْ يَفْتَكُمُ سَيِّئًا وَكُوَيْلًا وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿١٨﴾

﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾ خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أقراناً للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا للعاني، إن كان محمد على حق فانصره وإن كنا على حق فانصرنا، وروي أنهم قالوا: اللهم انصر أعلى الجندين، وأهدى الفتنتين، وأكرم الحزبين، وروي أن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم إنا كان أهدر وأقطع للرحم فاحنه اليوم أي: فأهلكه، وقيل: ﴿إن

= (1) سورة التوبة، الآية: 62. والهداية، وحسن الاستماع، والإصغاء، وإن الله تعالى لا يشارك العبد في خلق ذلك، بل الذي ينسب إلى الله تعالى إرادة الهداية من جميع الخلق، ولا يلزم حصول مراده على العموم تعالى الله، عما يقولون، ثم ولو تنزل متنزل على هذه القاعدة، لما استقام تأويل الرمزخشري أيضاً، فإن حصله، ولو علم الله فيهم خيراً، للطف بهم، ولو لطف بهم لما انتفعوا باللفظ، فيلزم عدم انتفاعهم باللفظ على تقدير علم الله الخبير فيهم، وهذا غير مستقيم لما

(1) سورة التوبة، الآية: 62.

(2) سورة النساء، الآية: 80.

(3) قال أحمد رحمه الله: إطلاق القول، بأن الله تعالى يلفظ بالعبد، فلا ينفع لطفه مردود، فإن اللطف هو إسداء الجميل، والإطاف به واسمه اللطيف من ذلك، فإذا أسدى الجميل إلى العبد بان أسمعه إسماع لطيف به، فتلك الغاية المرجوة، ومعنى اللطف به على هذا أن يخلق في قلبه قبول الحق، وحسن الإصغاء إليه، والاهتداء به، ولكن لا يتم ذلك على عقيدة الاعتزال، والرأي الفاسد في خلق

ويبيله بالخوف أمنًا وبالآمن خوفًا وبالذكر نسيانًا وبالنسيان نكرًا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى، فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا، والمجبرة على أنه يحول بين المرء والإيمان إذا كفر، وبين الكفر إذا آمن، تعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، وقيل: معناه: أنه يطلع على كل ما يخرطه المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكانه بينه وبين قلبه. وقرئ: المرء بتشديد الراء، ووجهه أنه قد حنط الهمزة وألقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لفة من يقول مررت بعمر.

الطافه، أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا، وقيل: هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا رجلان: مصعب بن عمير وسويد بن حرملة، كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه، فقتلوا جميعًا بأحد وكانوا أصحاب اللواء، وعن ابن جريج: هم المنافقون، وعن الحسن: أهل الكتاب.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٤٦﴾

﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ وَحَدَّ الضمير كما وحده فيما قبله؛ لأن استجابة رسول الله ﷺ كاستجابته وإنما ينكر أحدهما مع الآخر للتوكيد، والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال، وبال دعوة البحث والتحريض، وروى أبو هريرة: أن النبي ﷺ مرَّ على باب أبي إبن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته، ثم جاء فقال: ما منعك عن إجابتي؟ قال: كنت أصلي، قال: ألم تخبر فيما أوحى إلي ﴿استجبوا لله وللرسول﴾ قال: لا جرم لا تدعوني إلا أجيئك<sup>(1)</sup>، وفيه قولان: أحدهما: أن هذا مما اختص به رسول الله ﷺ، والثاني: أن دعاه كان لمر لم يحتمل التأخير، وإذا وقع مثله للمصلي فله أن يقطع صلاته ﴿لما يحييكم﴾ من علوم الديانات والشرائع؛ لأن العلم حياة كما أن الجهل موت، ولبعضهم:

لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن وقيل: لمجاهدة الكفار؛ لأنهم لو رفضوا لخلبهم وقتلوهم كقوله: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾<sup>(2)</sup> وقيل: للشهادة لقوله: ﴿بئس أحياء عند ربهم﴾<sup>(3)</sup> ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾<sup>(4)</sup> يعني: إنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي: التمكن من إخلاص القلب ومعالجة أنوائه وعلله ورده سليمًا كما يريد الله، فاعتنوا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله ﴿واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة، وقيل: معناه: إن الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده

يلزم عليه من وقوع خلاف المعلوم لله تعالى، وذلك محال عقلاً، فلا يرتفع الإشكال، إلا بتقدير الإسماع الواقع جواباً أولاً، خلاف الإسماع الواقع شرطاً ثانياً، كيلا يتكرر الوسط، فيلزم المحال المنكور، وأقرب وجه في اختلاف الإسماعين، أن يراد بالأول، ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم إسماعاً يخلق لهم به الهداية والقبول، ولو أسمعهم لا على أنه يخلق لهم الاهتداء، بل إسماعاً مجرداً من ذلك لتولو وهم معرضون، فهذا هو الوجه في تأويل الآية، والله الموفق.

(1) أخرجه الترمذي في كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل فاتحة الكتاب (الحديث رقم: 2875) والنسائي في كتاب: الافتتاح، باب: تأويل قول الله عز وجل: ﴿ولقد أنبأناك سبعمائة من المثنائي﴾ =

وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ  
اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٧﴾

﴿فتنة﴾ نَبَأٌ قِيلَ: هو إقرار المنكر بين أظهرهم، وقيل: افتراق الكلمة، وقيل: فتنة عذاباً، وقوله: ﴿لا تصيبن﴾ لا يخلو من أن يكون جواباً للأمر، أو نهياً بعد أمر، أو صفة لفتنة، فإذا كان جواباً فالمعنى: إن أصابتمك لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم، وهذا كما يحكى أن علماء بني إسرائيل نهوا عن المنكر تعذيراً فعمهم الله بالعذاب، وإذا كانت نهياً بعد أمر فكانه قيل: واحذروا نَبَأً أو عقاباً، ثم قيل: لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة، وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول كأنه قيل: واتقوا فتنة مقولاً فيها لا تصيبن ونظيره قوله:

حتى إذا جنَّ الظلام واختلف جازاً بمنق هل رأيت الذئب قط أي: بمنق مقول فيه هذا القول؛ لأنه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب، ويعضد المعنى الأخير قراءة ابن مسعود: لتصيبن على جواب القسم المحنوف، وعن الحسن: نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة، قال الزبير: نزلت فينا وقرانها زماناً وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها، وعن السدي: نزلت في أهل بدر، فافتتلوا يوم الجمل، وروي أن الزبير كان يساير النبي ﷺ يوماً إذا أقبل علي رضي الله عنه، فضحك إليه الزبير، فقال رسول الله ﷺ: «كيف حبك لعلي؟ فقال: يا

(الحديث رقم: 913) وأخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن من سورة الأنفال، باب: يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول... (الحديث رقم: 20430).

(2) سورة البقرة، الآية: 179.

(3) سورة آل عمران، الآية: 169.

(4) قال أحمد رحمه الله: نعم هذا قد أهل السنة الذي استعار لهم لقب المجبرة، وهو العقد الحق المؤسس على التقوى، وتفويض المخلوقات كلها إلى الواحد الحق خالق الخلق، فإن كان ذلك ظلماً، فانا بريء من الطائفة المتسمية بالعلية إصراراً على هذا الرأي الباطل، والمعتقد المحال، والله الموفق.

رسول الله بأبي أنت وأمي إني أحبه كحبي لوالدي أو أشد حباً. قال: «فكيف أنت إذا سرت إليه تقائلته»<sup>(1)</sup>.

**فإن قلت:** كيف جاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الأمر؟ **قلت:** لأن فيه معنى النهي، إذا قلت: انزل عن الدابة لا تطرحك، فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن و ﴿لا يحطمنكم﴾<sup>(2)</sup>.

**فإن قلت:** فما معنى من في قوله: ﴿الذين ظلموا منكم﴾؟ **قلت:** التبعض على الوجه الأول، والتبيين على الثاني؛ لأن المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم؛ لأن الظلم أتبع منكم من سائر الناس.

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَتَى قَيْلٌ سُسْتَمُونَ فِي الْأَرْضِ مَخَافُونَ أَنْ يَخَطَبَكُمْ الْإِنْسَ فَنَارِكُمْ وَإِيْدَكُمْ يَبْتَرُونَهُ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لِمَا كُنتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٧﴾

﴿إذ أنتم﴾ نصبه على أنه مفعول به منكسر لا ظرف أي: انكروا وقت كونكم أقله أنلة مستضعفين ﴿في الأرض﴾ أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش ﴿تخافون أن يخطفكم الناس﴾ لأن الناس كانوا جميعاً لهم أعداء منافين مضادين ﴿فأواكم﴾ إلى المدينة ﴿واييدكم بنصره﴾ بمظاهرة الأنصار وبإمداد الملائكة يوم بدر ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ من الغنائم ﴿لعلكم تشكرون﴾ إرادة أن تشكروا هذه النعم، وعن قتادة: كان هذا الحي من العرب آنل الناس وأشقامهم عيشاً وأعرامهم جلدًا وأبينهم ضلالاً يؤكلون ولا يأكلون، فمكّن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكاً.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَخْفَوْنَ اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوَّفُوا أُمَّنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَمْلِكُونَ ﴿١٧﴾

معنى الخون: النقص كما أن معنى الوفاء: التمام، ومنه تخونه إذا تنقصه، ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء؛ لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه، وقد استعير فقيل: خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب؛ لأنه إذا انقطع به فكانه لم يقف له ومنه قوله تعالى: ﴿وتخونوا أماناتكم﴾ والمعنى: لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه ورسوله بأن لا تستنوا به، و﴿أماناتكم﴾ فيما بينكم بأن لا تحفظوها ﴿وانتم تعلمون﴾ تبعة ذلك ووباله، وقيل: وانتم تعلمون انكم تخونون يعني: أن الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو، وقيل: وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن، وروي أن نبي الله ﷺ حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صلح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا

إلى أنزعات وإريحاء من أرض الشام، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحاً لهم لأن عياله وماله في أيديهم، فبعثه إليهم فقالوا له: ما ترى هل ننزل على حكم سعد؟ فإشار إلى حلقه أنه الذبح، قال أبو لبابة: فما زالت قدماي حتى علمت أنني قد خنت الله ورسوله، فنزلت، فشد نفسه على سارية من سواري المسجد، وقال: والله لا أتوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله علي، فمكث سبعة أيام حتى خر مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل له: قد تيب عليك فحل نفسك، فقال: لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني، فجاءه فحله بيده، فقال: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال ﷺ: «يجزيك الثلث أن تتصدق<sup>(3)</sup> به»، وعن المغيرة: نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل: أماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده.

**فإن قلت:** ﴿وتخونوا﴾ جزم هو أم نصب؟ **قلت:** يحتمل أن يكون جزءاً داخلاً في حكم النهي، وأن يكون نصباً بإضمار أن كقوله: ﴿وتكتموا الحق﴾<sup>(4)</sup> وقرأ مجاهد: وتخونوا أماناتكم على التوحيد.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَرْزَقَكُمْ وَأَوْلَدْتُمْ فَسَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾

جعل الأموال والأولاد فتنة؛ لأنهم سبب الوقوع في الفتنة وهي: الإثم أو العذاب أو محنة من الله ليلبؤكم كيف تحافظون فيهم على حدوده، والله عنده أجر عظيم فعليكم أن تنوطوا بطلبه وبما تؤدي إليه هممكم، وتزهّدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا أنفوسكم من أجلهما كقوله: ﴿المال والبنون﴾<sup>(5)</sup> الآية، وقيل: هي من جملة من نزل في أبي لبابة، وما فرط منه لأجل ماله وولده.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَفَرَّقُوا اللَّهُ يَجْمَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٧﴾

﴿فرقاناً﴾ نصراً؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل، وبين الكفر بإذلال حربه والإسلام بإعزاز أهله ومنه قوله تعالى: ﴿يوم الفرقان﴾<sup>(6)</sup> وبيانا وظهوراً يشهر أمركم ويبث صيتكم وأثارك في أقطار الأرض من قولهم: بثّ أفل كذا حتى سطع الفرقان أي: طلع الفجر، أو مخرجاً من الشبهات وتوفيقاً وشرحاً للصدور، أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلاً ومزية في الدنيا والآخرة.

إِذْ يَبْكُوكُمْ بِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْرِكُوا بِكُمُ الْإِنْسَانُ أَوْ يُجْرِبُوكُمْ

(1) رواه عبد الرزاق في مصنفه 241/11 (الحديث رقم: 20430).

(4) سورة البقرة، الآية: 42.

(2) سورة النمل، الآية: 18.

(5) سورة الكهف، الآية: 46.

(3) رواه عبد الرزاق في مصنفه 406/5 (الحديث رقم: 9745).

(6) سورة الانفال، الآية: 41.

وَيَكْفُرُونَ وَيَمْكُرُونَ اللَّهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحَكِيمِ ﴿٣٠﴾.

الراعدة، فإنهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة، وإلا فما منعم إن كانوا مستطيعين أن يشاؤا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز، حتى يفوزوا بالقدح المعلى لونه، مع فرط انفتهم واستنكافهم أن يغلّبوا في باب البيان خاصة، وأن يماثتهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة، ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على أن يقهروا رسول الله ﷺ وتهالكهم على أن يغمروه، وقيل: قاتله النضر بن الحرث المقتول صبراً حين سمع اقتصاص الله أحاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا، وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم وأسفنديار فزعم أن هذا مثل ذاك وأنه من جملة تلك الأساطير، وهو القائل ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ﴾ وهذا أسلوب من الجحود بليغ يعني: إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل، أو بعداب آخر، ومراده نفي كونه حقاً، وإذا انتفى كونه حقاً لم يستوجب منكروه عذاباً، فكان تعليق العذاب بكونه حقاً مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك: إن كان الباطل حقاً فامطر علينا حجارة، وقوله: ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق، وقرأ الأعمش: هو الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وهو في القراءة الأولى فصل. ويقال: أمطرت السماء كقولك: أتجمت وأسبلت ومطرت كقولك: هتنت وهتلت وقد كثر الإطمار في معنى العذاب.

فإن قُلْتَ: ما فائدة قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ والأمطار لا تكون إلا منها؟ قُلْتَ: كأنه أريد أن يقال فامطر علينا السجيل وهي: الحجارة المسومة للعذاب، فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول: صب عليه مسرودة من حديد تريد برعاً ﴿بعذاب قيم﴾ أي: بنوع آخر من جنس العذاب الأليم يعني: أن أمطار السجيل بعض العذاب الأليم، فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه، وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ: ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة، قال: أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله ﷺ حين دعاهم إلى الحق: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾ ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا له. اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم وانت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة؛ لأن عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوماً عذاب استئصال ما دام نبيهم بين أظهرهم، وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم والدليل على هذا الإشعار قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ وإنما يصح هذا بعد إثبات التعذيب كأنه قال: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم أن لا يعذبهم ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ في موضع الحال ومعناه: نفي الاستغفار عنهم أي: ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما

لما فتح الله عليه نكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله عز وجل في نجاته من مكهم واستيلائه عليهم، وما أتاح الله له من حسن العاقبة، والمعنى: وأنكر إذ يمكرون بك، وذلك أن قريشاً لما أسلمت الأنصار وابعوه فرقوا أن يتفاهم أمره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره، فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال: أنا شيخ من نجد، ما أنا من تهامة، دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم، ولئن تعدموا مني رأياً ونصحاً، فقال أبو البخترى: رأيت أن تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسودوا بابه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون، فقال إبليس: بشس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم، فقال هشام بن عمرو: رأيت أن تحمله على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحمتم، فقال إبليس: بشس الرأي يفسد قوماً غيركم ويقاتلكم بهم، فقال أبو جهل: أنا أرى أن تاخذوا من كل بطن غلاماً وتعطوه سيفاً صارماً فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم، فإذا طلبوا العقل قتلناه واسترحنا، فقال الشيخ - لعنه الله - صدق هذا الفتى هو أجونكم رأياً، فتفرقوا على رأي أبي جهل مجتمعين على قتله، فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ وأمره أن لا يبيت في مضجعه، وأن الله له في الهجرة، فأمر علياً رضي الله عنه فنام في مضجعه، وقال له: «اتشح ببردي فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه». وياتوا مترصدين، فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه فأبصروا علياً فبهتوا وخيب الله عز وجل سعيهم، واقتصوا أثره فأبطل الله مكهم<sup>(١)</sup> ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ليسجنوك أو يوثقوك أو يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم: ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به ولا براح، وفلان مثبت وجعاً، وقرئ: لِيُثْبِتُوكَ بالتشديد، وقرأ النخعي: لِيُثْبِتُوكَ من البيات، وعن ابن عباس: ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالإيثاق ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ ويخفون المكائد له ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ ويخفي الله ما أعدهم حتى يأتيهم بغتة ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أي: مكره انفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيراً، أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل، ولا يصيب إلا بما هو مستوجب.

وَأَنْ تُلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ أَنْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾.

﴿هُوَ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ نفاجة منهم واصلف تحت

نَسِيْبَتْنَهَا ثُمَّ نَكَرْتُ عَلَيْهِنَّ حَسْرَةً ثُمَّ يُنَابِرُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ مُخْرَجُونَ ﴿٣٦﴾.

قيل: نزلت في المطعمين يوم بدر، كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر، وقيل: قالوا لكل من كان له تجارة في العير أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعنا ندرك منه ثارنا بما أصيب منا ببدر، وقيل: نزلت في أبي سفيان وقد استأجر ليويم أحد الفين من الأحابيش سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية، والأوقية اثنان وأربعون مثقالاً ﴿يَلْبِصُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: كان غرضهم في الإنفاق الصد عن اتباع محمد وهو: سبيل الله، وإن لم يكن عندهم كذلك ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: تكون عاقبة إنفاقها ندماً وحسرة، فكانت ذاتها تصوير ندماً وتقلب حسرة ﴿ثُمَّ يَغْلِبُونَ﴾ آخر الأمر وإن كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجلاً قبل ذلك فيرجعون طلقاء ﴿كُتِبَ لِلَّهِ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (3) ﴿وَالسَّيِّئِينَ كَفَرُوا﴾ والكافرون منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يَحْشَرُونَ﴾ لأنَّ منهم من أسلم وحسن إسلامه.

لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَجْعَلُكُمْ جِمْيَاً فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلِيَاءَكَ هُمُ الْخَبِيرُونَ ﴿٣٧﴾.

﴿ليميز الله الخبيث﴾ الفريق الخبيث من الكفار ﴿من﴾ الفريق ﴿الطيب﴾ من المؤمنين. فيجعل الفريق ﴿الخبيث﴾ بعضه على بعض فيركمه جميعاً عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله تعالى: ﴿كانوا يكونون عليه لبدا﴾ (4) يعني: لفرط ازحامهم ﴿أولئك﴾ إشارة إلى الفريق الخبيث، وقيل: ليميز المال الخبيث الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله ﷺ من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته ﴿فيركمه﴾ فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله: ﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم﴾ (5) الآية، واللام على هذا متعلقة بقوله: ﴿ثم تكون عليهم حسرة﴾ وعلى الأول بيحشرون، وأولئك إشارة إلى الذين كفروا. وقرئ: ليميز على التخفيف.

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يُؤُورُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾.

﴿قل للذين كفروا﴾ من أبي سفيان وأصحابه أي: قل لأجلهم هذا القول وهو ﴿إن ينتهوا﴾ ولو كان بمعنى خاطبهم به لقليل: إن تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحو: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾ (6) خاطبوا به غيرهم لأجلهم لسمعوه أي:

عذبهم كقوله: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم أهلها مصلحون﴾ (1) ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم، وقيل: معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله ﷺ من المستضعفين، وما لهم أن لا يعذبهم الله وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني: لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة.

وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُتَّكِفُونَ وَلَكِنْ أَكْفَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾.

وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصنون عن المسجد الحرام كما صنوا رسول الله ﷺ عام الحديبية، وإخراجهم رسول الله ﷺ والمؤمنين من الصد، وكانوا يقولون: نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ﴿وما كانوا أولياءه﴾ وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره وأربابه ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾ من المسلمين ليس كل مسلم أيضاً ممن يصلح لأن يلي أمره، إنما يستاهل ولايته من كان برّاً تقياً فكيف بالكفرة عبدة الأصنام ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة، أو أراد بالأكثر الجميع كما يراد بالقلّة العم.

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٤٠﴾.

المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكأ يمكأ إذ اصفر، ومنه: المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكانه، وأصله الصفة نحو الوضاء والقراء، وقرئ: مكأ بالقصر ونظيرهما البكي والبيكاء. والتصديّة: التصفيق فتعلة من الصدى أو من صد يصد ﴿إذا قومك منه يصدون﴾ (2). وقرأ الأعمش: وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه.

فإن قلت: ما وجه هذا الكلام قلت: هو نحو من قوله:

وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه أذاهم سوداً أو محدجة سمرا والمعنى: أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصديّة موضع الصلاة، وذلك أنهم كانوا يطفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشيكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون، وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله ﷺ في صلاته يخلطون عليه ﴿فذوقوا﴾ عذاب القتل والأسر يوم بدر بسبب كفرهم وأفعالكم التي لا يقدم عليها إلا الكفرة.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِمَصْدُورٍ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ

(1) سورة هود، الآية: 117.

(2) سورة الزخرف، الآية: 57.

(3) سورة المجادلة، الآية: 21.

(4) سورة الجن، الآية: 19.

(5) سورة التوبة، الآية: 35.

(6) سورة الاحقاف، الآية: 11.



وبالمنزل ﴿على عبدنا﴾ وقرئ: عبدنا كقوله: ﴿وعبد الطاغوت﴾<sup>(5)</sup> بضمّتين ﴿يوم الفرقان﴾ يوم بدر و ﴿الجمعان﴾ الفريقان من المسلمين والكافرين، والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ ﴿والله على كل شيء قدير﴾ يقدر على أن ينصر القليل على الكثير والنليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم ﴿إن﴾ بدل من يوم الفرقان. والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح، وقرئ: بهنّ وبالعدنية على قلب الواو ياء؛ لأنّ بينها وبين الكسرة حاجزاً غير حصين كما في الصبية. والدنيا والقصوى تانيث الأتني والأقصى.

فإن قُلْتُمْ: كلتاها فعلى من بنات الواو فلم جاءت إحداهما بالياء والثانية بالواو؟ قُلْتُمْ: القياس هو: قلب الواو ياء كالعلياء، وأما القصوى فكالقود في مجيئه على الأصل وقد جاء القصيا إلا أنّ استعمال القصوى أكثر، كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب وأغلبت مع أغالت، والعدوة الدنيا مما يلي المنينة والقصوى مما يلي مكة ﴿والركب أسفل منكم﴾ يعني: الركب الأربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل، وأسفل نصب على الظرف معناه: مكاناً أسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل؛ لأنه خير للمبتدأ.

فإن قُلْتُمْ<sup>(6)</sup>: ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم؟ قُلْتُمْ: الفائدة فيه الإخبار عن الحال الدالة على قوّة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته، وتمهد أسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم وأن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنفاً من الله سبحانه ودليلاً على أنّ ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته، وذلك أنّ العدو القصوى التي أتاخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضاً لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خيار تسوخ فيها الأرجل ولا يمشي فيها إلا يتعب ومشقة، وكانت العين وراء ظهور العدو مع كثرة عدوهم فكانت الحماية تونها تضاعف حميتهم وتشد في المقاتلة عنها نياتهم، ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم ليعبثهم الذّب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وأن لا يتركوا وراءهم ما يحذّون أنفسهم بالانحياز إليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط همهم ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدّتهم، وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر

وغيره عليه؟ قُلْتُمْ: يحتمل أن يكون معنى الله وللرسول لرسول الله ﷺ كقوله: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾<sup>(1)</sup> وأن يراد بذكره إيجاب سهم سادس يصرف إلى وجه من وجوه القرب، وأن يراد بقوله ﴿فإن الله خمسه﴾ أن من حق الخمس أن يكون متقرّباً به إليه لا غير، ثم خصّ من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلاً لها على غيرها كقوله تعالى: ﴿وجبريل وميكال﴾<sup>(2)</sup> فعلى الاحتمال الأوّل؛ مذهب الإمامين.

وعلى الثاني: ما قال أبو العالية: أنه يقسم على ستة أسهم: سهم الله تعالى يصرف إلى رتاج الكعبة، وعنه: كان رسول الله ﷺ يأخذ الخمس، فيضرب بيده فيه، فيأخذ منه قبضة فيجلبها للكعبة وهو سهم الله تعالى، ثم يقسم ما بقي على خمسة<sup>(3)</sup>، وقيل: إن سهم الله تعالى لبيت المال.

وعلى الثالث: مذهب مالك بن أنس، وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنه كان على ستة أسهم: لله وللرسول سهران وسهم لأقاربه حتى قبض، فأجرى أبو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلاثة، وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء، وروي أنّ أبا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال: إنما لكم أن يعطي فقيركم ويوزج أيمكم يخدم من لا خادم له منكم، فأما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل، غني لا يعطي من الصدقة شيئاً، ولا يتيم موسر، وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال: ليس لنا أن نبني منه قصوراً ولا أن نركب منه البرانين، وقيل: الخمس كله للقربة، وعن علي رضي الله عنه أنه قيل له: إنّ الله تعالى قال: ﴿واليتامى والمساكين﴾<sup>(4)</sup> فقال: أيتامنا ومساكيننا، وعن الحسن رضي الله عنه في سهم رسول الله ﷺ: أنه لولي الأمر من بعده، وعن الكلبي رضي الله عنه أنّ الآية نزلت ببدر، وقال الواقدي: كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة.

فإن قُلْتُمْ: بم تعلق قوله: ﴿إن كنتم آمنتم بالله﴾؟ قُلْتُمْ: بمحذوف يدل عليه ﴿واعلموا﴾ المعنى: إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطعاكم، واقتنعوا بالأخماس الأربعة، وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لأمر الله تعالى؛ لأنّ العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر ﴿وما أنزلنا﴾ معطوف على ﴿بإياه﴾ أي: إن كنتم آمنتم بالله،

(3) أخرجه أبو داود في المراسيل، باب: ما جاء في قسمة الخمس (الحديث رقم: 374).

(4) سورة البقرة، الآية: 83.

(5) سورة المائدة، الآية: 60.

(6) قال أحمد: وهذا الفصل من خواص حسنات الزمخشري، وتنقيبه عن أسرار الكتاب العزيز.

= الوجود المذكورة بعد، ليس تحديداً، ولك تنبيهاً على فضلها، والتخصيص لقصد التفصيل بعد التعميم لا يرفع حكم العموم الأوّل، بل هو قار على حاله، كما أن العموم ثابت للملائكة، وإن خص جبريل وميكال بعده، والله تعالى أعلم.

(1) سورة التوبة، الآية: 62.

(2) سورة البقرة، الآية: 98.

الإقدام ﴿وَلتَنَازَعنكم﴾ في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ﴿ولكن الله سلم﴾ أي: عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع.

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَيْلًا وَقَوْلَكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ يَقُولُ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤١﴾.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ الضميران مفعولان يعني: وإذا يبصركم إياهم و ﴿قَيْلًا﴾ نصب على الحال وإنما قللهم في أعينهم تصديقاً لرؤيا رسول الله ﷺ، وليعابنوا ما أخبرهم به فيزيدوا يقينهم ويجنوا ويثبتوا. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي: أترام سبعين؟ قال: أترام مائة، فأسرنا رجلاً منهم فقلنا له: كم كنتم؟ قال الفأ<sup>(١)</sup>. ﴿وَيَقْللُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ حتى قال قائل منهم: إنما هم أكلة جزور.

فإن قلَّت: الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر، فما الغرض في تقليل المؤمنين في أعينهم؟ قلَّت: قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم بعدها ليجتروا عليهم قلة مبالاة بهم، ثم تفجؤهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتقل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله: ﴿يرونهم مثليهم رأي العين﴾<sup>(٢)</sup> ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم أولاً وكثرتهم آخرًا.

فإن قلَّت<sup>(٣)</sup>: بأي طريق يبصرون الكثير قليلاً؟ قلَّت: بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر، أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير، كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين، قيل لبعضهم: إن الأحوال يرى الواحد اثنين وكان بين يديه بيك واحد فقال: ما لي لا أرى هذين الديقين أربعة.

يَأْتِيهَا الْبُرُكُ ءَأَمُّوْا إِذَا لَيْسَتْ فِتْنَةٌ فَاتَّبِعُوا وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَمَلَكُمْ نُفُورًا ﴿٤٢﴾.

﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً﴾ إذا حاربتكم جماعة من الكفار وترك أن يصفها؛ لأنَّ المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب ﴿فَاتَّبِعُوا﴾ لقتالهم ولا تقفوا ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له عدوكم: اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم

ليقضي أمراً كان مفعولاً من إغزاز دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهما غير مبينة حتى خرجوا لياخذوا العير راغبين في الخروج، وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله ﷺ لأموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم، وسبب الأسباب حتى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ﴿ولو تواعدتكم﴾ أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضاً، فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد، وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله ﷺ والمسلمين، فلم يتفق لكم من التلاقي في ما وفقه الله وسبب له ﴿ليقضي﴾ متعلق بمحذوف أي: ليقضي أمراً كان واجباً أن يفعل، وهو: نصر أوليائه وقهر أعدائه ببر نلك.

لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَتِنَا وَيَنجَى مَنْ جَاءَ عَن بَيْنَتِنَا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ عِلْمُهُ ﴿٤٣﴾ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ اللَّهُ فِي سَمَائِكُمْ قَيْلًا وَرَأَوْا رَبَّهُمْ كَثِيرًا لَفِيئَتُهُمْ وَأَلْتَرْتَبَّتْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَنٌ لَّهُمْ عِلْمُهُ بِذَاتِ السُّدُورِ ﴿٤٤﴾.

وقوله: ﴿ليهلك﴾ بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام أي: ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينه لا عن مخالفة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة، ويصدر إسلام من أسلم أيضاً عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به، وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابراً لنفسه مغالطاً لها. وقرئ: ليهلك بفتح اللام وحيي بإظهار التضعيف ﴿لسميع عليم﴾ يعلم كيف يدبر أموركم ويسوي مصالحكم، أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه.

﴿إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ نصبه بإضمار أنكر، أو هو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بقوله: ﴿لسميع عليم﴾ أي: يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك ﴿في منامك﴾ في رؤياك، وذلك أن الله عزَّ وجلَّ أراه إياهم في رؤياه قليلاً، فأخبر بذلك أصحابه، فكان تثبيتاً لهم وتشجيعاً على عدوهم، وعن الحسن: في منامك في عينك؛ لأنها مكان النوم، كما قيل للقطيفة: المنامة لأنه ينام فيها، وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته. ﴿لفشلتم﴾ لجبنتم وهبتم

(1) إسحاق بن راهويه وابن مردويه، الزيلعي 32/2.

(2) سورة آل عمران، الآية: 13.

(3) قال أحمد: وفي هذا دليل بَيِّنٌ على أن الله تعالى، هو الذي يخلق الإدراك في الحاسة، غير موقوف على سبب من مقابلة، أو قرب، أو ارتفاع حجب، أو غير ذلك إذ لو كانت هذه الأسباب موجبة للرؤية عقلاً لما أمكن أن يستر عنهم البعض، وقد أدركوا البعض، والسبب الموجب مشترك، فعلى هذا يجوز أن يخلق الله الإدراك =

= مع اجتماعها، فلا ربط إذاً بين الرؤية، ونفيها في مقدرة الله تعالى، وهي رادة على القدرية المنكرين لرؤية الله تعالى بناء على اعتبار هذه الأسباب في حصول الإدراك عقلاً، وأنها تستلزم الجسمية إذ المقابلة، والقرب، وارتفاع الحجب، إنما تتأتى في جسم، فهذه الآية حسبيهم في إبطال زعمهم، ولكنهم يمرنون عليها، وهم عنها معرضون، والله الموفق.

شَدِيدٌ أَوْقَابٍ (١٤).

﴿و﴾ انكر ﴿إذ زين لهم الشيطان أعمالهم﴾ التي عملوها في معاداة رسول الله ﷺ ووسوس إليهم أنهم لا يغلّبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجبرهم. فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي: بطل كيده حين نزلت جنود الله، وكذا عن الحسن رحمه الله: كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم، وقيل: لما اجتمعت قريش على السير نكرت الذي بيننا وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم، فتمثل لهم إبليس في صورة سراقفة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من أشرافهم في جند من الشياطين معه راية، وقال: لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم من بني كنانة، فلما رأى الملائكة نزل نكص، وقيل: كانت يده في يد الحرث بن هشام، فلما نكص قال له الحرث: إلى أين؟ اتخذنا في هذه الحال؟ فقال: إني أرى ما لا ترون، ونفع في صدر الحرث وانطلق وانهمزوا فلما بلغوا مكة قالوا: هزم الناس سراقفة، فبلغ نكص سراقفة فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم، فلما أسلموا علموا أنه الشيطان، وفي الحديث: وما رؤى إبليس يوماً أصغر ولا أضر ولا أعظ من يوم عرفه لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رؤى يوم بدر (١٥).

فإن قلت: ملا قيل: لا غالباً لكم كما يقال: لا ضارباً زيداً عندنا قلت: لو كان لكم مفعولاً لغالب بمعنى: لا غالباً إياكم، لكان الأمر كما قلت، لكنه خير تقديره لا غالب كائن لكم.

إذ يكول النسيقون والذين في قلوبهم مرض عن هؤلاء بينهم ﴿ولو﴾ ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم (١٦).

﴿إذ يقول المنافقون﴾ بالمدينة ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ يجوز أن يكون من صفة المنافقين وأن يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام، وعن الحسن: هم المشركون ﴿عز هؤلاء بينهم﴾ يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقون به وينصرون من أجله، فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف، ثم قال جواباً لهم ﴿ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز﴾ غالب يسלט القليل الضعيف على الكثير القوي ﴿ولو ترى﴾ ولو عاينت وشاهدت؛ لأن لو ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي إلى معنى الاستقبال.

ولو ترى إذ يتولى الذين كفروا الملائكة يعزّونهم وهم رادّونهم ودّونوا عذاب الحريق (١٧).

﴿إذ﴾ نصب على الظرف. وقرئ: يتوفى بالياء والتاء

﴿لعلكم تفلحون﴾ لعلكم تظفرون بمرانكم من النصره والمثوبة، وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن نكر ربه أشغل ما يكون قلباً وأكثر ما يكون همًا، وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره، وناهيك بما في خطب أمير المؤمنين عليه السلام في أيام صفين وفي مشاهدته مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبلغات المواعظ والنصائح ليلياً على أنهم كانوا لا يشغلهم عن نكر الله شاغل وإن تقام الأمر.

وأليعوا الله رسوله ولا تنزعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وأصبروا إن الله مع الصابرين (١٨).

﴿ولا تنازعوا﴾ قرئ: بتشديد التاء ﴿فتفشلوا﴾ منصوب بإضمار أن، أو مجزوم لدخوله في حكم النهي، وتدل على التقديرين قراءة من قرأ: ﴿وتذهب ريحكم بالياء والجزم. والريح الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهيوبها فقيل: هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره، ومنه قوله:

يا صاحبني الألاحي بالوادي إلا عبيد قعود بين النواد  
انتظران قليلاً ريث غفلتهم أم تعدوان فإنّ الريح للعبادي

وقيل: لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تعالى، وفي الحديث: «نصرت بالصبأ، وأهلك عاد بالدبور» (١٩). حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم بأحد لمخالفتهم رسول الله ﷺ من فشلهم وذهاب ريحهم.

ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورعاً أناس ويصدون عن سبيل الله والله يما يمتلئون جيبت (٢٠).

﴿كالذين خرجوا من ديارهم﴾ هم: أهل مكة حين خرجوا لحماية العير فاتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة: أن ارجعوا فقد سلمت عيركم، فابى أبو جهل وقال: حتى نقدم بديراً نشرب بها الخمر وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب، فذلك بطرهم ورتاؤهم الناس بإطعامهم، فوافوها فسقوا كؤوس المنيا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان، فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم، وأن يكونوا من أهل التقوى والكأبة والحزن من خشية الله عز وجل مخلصين أعمالهم ش.

وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من أناس وإذ جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني آتأف الله والله

(1) سورة الأنفال، الآية: 46.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: الاستسقاء، باب: قول النبي ﷺ «نصرت بالصبأ» (الحديث رقم: 1035) ومسلم في كتاب: الاستسقاء، باب: في ربيع الصبا (الحديث رقم: 2084).

(3) أخرجه مالك في الموطأ كتاب: الحج، باب: جامع الحج (الحديث رقم: 245)، والبيهقي في شعب الإيمان، باب: في المناسك فضل الوقوف بعرفات، (الحديث رقم: 4069).

وتحزبوا عليه ساعين في إراقة دمه غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما يقول مكذبو الرسل ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعلون ﴿عَذَابُ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ تكرير للتأكيد وفي قوله ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق. وفي نكر الإغراق بيان للأخذ بالثوب ﴿وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي.

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْصُرُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْزَؤٍ وَمَهُمْ لَا يَنْفُكُونَ ﴿٥٦﴾.

﴿الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾ أي: أصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم إيمان وهم: بنو قريظة، عاهدتهم رسول الله ﷺ أن لا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدتهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فخالفهم ﴿الذين عاهدت منهم﴾ بدل من الذين كفروا أي: الذين عاهدتهم من الذين كفروا، وجعلهم شر الدواب؛ لأن شر الناس الكفار، وشر الكفار المصرون منهم، وشر المصريين الناكثون للعهود ﴿وهم لا يتقون﴾ لا يخافون عاقبة الغدر ولا يباليون ما فيه من العار والنار.

إِنَّمَا تَتَفَنَّهْنِمُ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَمْ يَكْفُرُونَ ﴿٥٧﴾.

﴿فإما تتفنهنهم في الحرب﴾ فيما تصادفهم وتظفرن بهم ﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والناكية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتباراً بهم واتعاطاً بحالهم، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: فشرد بالذال المعجمة بمعنى: ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم: ذهبوا شذر مذر، ومنه: الشذر المتلقط من المعين لتفرقه، وقرأ أبو حيوة: من خلفهم، ومعناه: فافعل التشريد من ورائهم؛ لأنه إذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الورا وأوقعه فيه؛ لأن الورا جهة المشردين فإذا جعل الورا ظرفاً للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين ﴿لعلهم يذكرون﴾ لعل المشردين من ورائهم يتعظون.

وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنَ قَوْمٍ فَانِئًا فَانِئًا إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنَافِقِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْعًا إِذْ يَقُولُ لَا يُجْرُونَ ﴿٥٩﴾.

﴿وإما تخافن من قوم﴾ معاهدين ﴿خيانة﴾ ونكثاً بامارات تلوح لك ﴿فانئذ إليهم﴾ فاطرح إليهم العهد ﴿على سواء﴾ على طريق مستور قصد، وذلك أن تظهر لهم

و﴿الملائكة﴾ رفعها بالفعل ﴿ويضربون﴾ حال منهم ويجوز أن يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر. وعن مجاهد: ﴿وإنبارهم﴾ استاهم، ولكن الله كريم يكني، وإنما خصوما بالضرب؛ لأن الخزي والنكال في ضربهما أشد، وبلغني عن أهل الصين أن عقوبة الزاني عندهم أن يصبر، ثم يعطي الرجل القوي البطش شيئاً عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوته فيجمد في مكانه، وقيل: يضربون ما أقبل منهم وما أدير ﴿ونوقوا﴾ معطوف على يضربون على إرادة القول أي: ويقولون نوقوا ﴿عذاب الحريق﴾ أي: مقدمة عذاب النار، أو ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به، وقيل: كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهيب النار، أو ويقال لهم يوم القيامة نوقوا وجواب لو محنوف أي: لرايت أمراً فظيماً منكراً.

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَمِيدِ ﴿٥٩﴾.

﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾ يحتمل أن يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره ﴿وأن الله﴾ عطف عليه أي: تلك العذاب بسببين: بسبب كفركم ومعاصيكم، وبأن الله ﴿ليس بظلام للعبيد﴾؛ لأن تعذيب الكفار من العدل كإثابة المؤمنين، وقيل<sup>(1)</sup>: ظلام للتكثير لاجل العبيد، أو لأن العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاماً بليغ الظلم متفاهمه.

كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعْتَبِراً بِنَمَّةٍ أَنْتُمْ عَلَىٰ قَوْلٍ مِمَّنْ بُعِثُوا مَآ أَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ عَذَابُ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَاذِبٍ ظَلِيمٌ ﴿٥٨﴾.

الكاف في محل الرفع أي: داب هؤلاء مثل داب آل فرعون، ودابهم عادتهم وعملهم الذي دابوا فيه أي: دوما عليه وواظبوا و ﴿كفروا﴾ تفسير لداب آل فرعون ﴿وذلك﴾ إشارة إلى ما حل بهم يعني: ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته أن يغير نعمته عند قوم ﴿حتى يغيروا ما﴾ بهم من الحال.

فإن قلت: فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة؟ قلت: كما تغير الحال المرضية إلى المسخوطة تغير الحال المسخوطة إلى اسخط منها، وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفره عبدة أصنام فلما بعث إليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه

(1) قال أحمد: وبهذه النكتة يجب عن قول القائل: نفى الأدنى، أبلغ

من نفى الأعلى، فلم عدل عن الأبلغ، والمراد تنزيه الله تعالى، وهو =

= جدير بالمبالغة، فهذان الجوابان عتيبان في هذا السؤال.

﴿ومن رباط الخيل﴾ تخصيصاً للخيل من بين ما يتقوى به قولهم: ﴿وجبريل وميكايل﴾<sup>(4)</sup> وعن ابن سيرين رحمه الله: أنه سئل عن أوصى بثلث ماله في الحصون فقال: يشتري به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها، فقيل له: إنما أوصى في الحصون؟ فقال: ألم تسمع قول الشاعر:

إن الحصون الخيل لا مدر القرى

﴿ترهبون﴾ قرئ: بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما: تخرون والضمير في ﴿به﴾ راجع إلى ما استطعتم ﴿عدو الله وعدوكم﴾ هم أهل مكة ﴿وأخريين من دونهم﴾ هم: اليهود، وقيل: المنافقون، وعن السدي هم: أهل فارس، وقيل: كفرة الجن، وجاء في الحديث: إن الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا داراً فيها فرس عتيق<sup>(5)</sup>، وروي أن سهيل الخيل يهرب الجن. جنح له وإليه إذا مال.

﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾<sup>(6)</sup> وإن يريدوا أن يمددوك فاتك حسبك الله هو الذي أيدك بتصوره والمؤمنين<sup>(7)</sup>.

والسلم تؤت ثنائيت نقيضها وهي الحرب قال:

السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفسها جرع وقرئ: بفتح السين وكسرها، وعن ابن عباس رضي الله عنه: أن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾<sup>(6)</sup> وعن مجاهد بقوله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾<sup>(7)</sup> والصحيح أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم، وليس يحتم أن يقاتلوا أبداً ويجابوا إلى الهدنة أبداً. وقرأ الأشهب العقيلي: فاجنح بضم النون ﴿وتوكل على الله﴾ ولا تخف من إبطانهم المكر في جنوحهم إلى السلم، فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخبيعتهم، قال مجاهد: يريد قريظة ﴿فإن حسبك الله﴾ فإن محسبك الله. قال جرير:

إني وجدت من المكارم حسبكم أن تلبسوا خذ الثياب وتشبعوا  
وَأَلَّتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَتَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جِيماً مَا أَلَّتْ بَيْتَ  
قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُمْ عَزِيزٌ حَكِيمٌ<sup>(13)</sup>.

﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ التاليف بين قلوب من بعث إليهم رسول الله ﷺ من الآيات الباهرة: لأن العرب لما فيهم من الحماية والعصبية والانطواء على الضغينة في أننى شيء وإلقائه بين أعينهم إلى أن ينتقموا لا يكاد ياتلف منهم

نبذ العهد وتخيرهم إخباراً مكشوفاً بيئاً أنك قطعت ما بينهم وبينهم، ولا تتأجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ فلا يكن منك إخفاء نكت العهد والخداع، وقيل: على استواء في العلم بنقض العهد، وقيل: على استواء في العداوة، والجار والمجرور في موضع الحال كأنه قيل: فانبذ إليهم ثابتاً على طريق قصد سوي، أو حاصلين على استواء في العلم، أو العداوة على أنها حال من الناخذ والمنبذ إليهم معاً ﴿سبقوا﴾ أفلتوا وفاتوا من أن يظفر بهم ﴿إنهم لا يعجزون﴾ إنهم لا يفوتون ولا يجنون طالبيهم عاجزاً عن إدراكهم، وقرئ: أنهم بالفتح بمعنى: لأنهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل، إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح، وقرئ: يعجزون بالتشديد، وقرأ ابن محيصة: يعجزون بكسر النون. وقرأ الأعمش: ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وافتحها على حذف النون الخفيفة، وقرأ حمزة: ولا يحسن بالياء على أن الفعل للذين كفروا، وقيل فيه: أصله أن سبقوا فحذفت أن كقوله: ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾<sup>(1)</sup> واستدل عليه بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه: أنهم سبقوا، وقيل: وقع الفعل على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى: سابقين أي: مفلتين هاربين، وقيل معناه: ولا يحسبهم الذين كفروا سبقوا، فحذف الضمير لكونه مفهوماً، وقيل: ولا يحسب قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا، وهذه الأقاويل كلها متمحولة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة، وعن الزهري: أنها نزلت فيمن أفلت من قتل المشركين.

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَغْلَبْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ  
بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَوَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَطْلُبُونَهُمْ اللَّهُ بِعَلْمِهِمْ  
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ ثَمَرِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُؤْتِكُمْ وَإِنَّكُمْ لَأَنْظَلُمُونَ<sup>(16)</sup>.

﴿من قوّة﴾ من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها، وعن عقبة بن عامر: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «ألا إن القوّة الرمي»<sup>(2)</sup> قالها ثلاثاً ومات عقبة عن سبعين قوساً في سبيل الله<sup>(3)</sup>، وعن عكرمة هي: الحصون، والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، ويجوز أن يسمى بالرباط الذي هو بمعنى: المرابطة، ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال، وقرأ الحسن: ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط، ويجوز أن يكون قوله

(1) سورة الروم، الآية: 24.

(4) سورة البقرة، الآية: 98.

(5) قال الزيلعي: غريب 34/2، وأخرجه ابن عدي في الكامل وابن سعد نحوه.

(6) سورة التوبة، الآية: 29.

(7) سورة التوبة، الآية: 5.

(2) قال أحمد: والمطابق للرمي أن يكون الرباط على بابيه مصدرأ، والله أعلم، وهو حسبي، ونعم الوكيل.

(3) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه... (الحديث رقم: 4923).

قلبان، ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله ﷺ واتحدوا وأنشأوا يرمون عن قوس واحدة، وذلك لما نظم الله من الفتنهم وجمع من كلمتهم وأحدث بينهم من التحاب والتواد وأماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبيغض في الله، ولا يقدر على ذلك إلا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما أراد، وقيل هم: الأوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك ساداتهم ورؤساءهم وبق جماعهم ولم يكن لبيغضائهم أمد ومنتهى، وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس، وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما أثمرته أختها وتكرهه وتنفرد عنه، فأنساهم الله تعالى ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا أنصاراً واعداء أعداء وما ذاك إلا بلطيف صنعه وبلغ قدرته.

يَأْتِيَا إِلَيْكَ مِنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَيْدِيكَ مِنَ الْكُفْرَانِ ﴿٧٧﴾

﴿ومن اتبعك﴾ الواو بمعنى: مع وما بعده منصوب تقول: حسبك وزيداً درهم، ولا تجر؛ لأن عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع، قال:

فحسبك والضحاك غضب مهتد

والمعنى: كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصر، أو يكون في محل الرفع أي: كفاك الله وكفاك المؤمنون، وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال، وعن ابن عباس رضي الله عنه: نزلت في إسلام عمر رضي الله عنه، وعن سعيد بن جبیر: أنه أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت.

يَأْتِيَا إِلَيْكَ حَرِصَ الْكُفْرَانِ عَلَى الْإِقْتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ مَسْرُورًا يَغْلِبُوا يَأْتِيَا وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ يَأْتِيَا يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَنْ خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَطَلَّمَ أَلَمْ يَكُنْ مَعَكُمْ مَعًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ يَأْتِيَا مَارَّةً يَغْلِبُوا يَأْتِيَا وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٩﴾

التحريض المبالغة في الحث على الأمر من الحرص، وهو أن ينهك المرض ويتبالغ فيه حتى يشفى على الموت، أو أن تسميه حرصاً وتقول له: ما أراك إلا حرصاً في هذا الأمر وممرضاً فيه ليهيجه ويحرك منه، ويقال: حركه وحرصه وحرصه وجرسه وجربه بمعنى وقرئ: حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الأخص من الحرص. وهذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله تعالى وتأييده ثم قال ﴿بانهم قوم لا يفقهون﴾ أي: بسبب أن الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم، فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه، خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر

فإن قُلْتُ: لم كَرَّرَ المعنى الواحد وهو: مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده؟ قُلْتُ: للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت؛ لأن الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف، وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين. وقرئ: للنبي على التعريف وأسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الإثخان: كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم: أثخنه الجراحات إذا أثبته حتى تثقل عليه الحركة وأثخنه المرض إذا أثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني: حتى يذل الكفر ويضعفه بإشاعة القتل في أهله، ويعز الإسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر، ثم الأسر بعد ذلك ذلك.

مَا كَانَتْ لِيَّيْنِي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَمْرٌ حَتَّى يُنْزَخَ فِي الْأَرْضِ رُيُودًا عَرَضَ الْأُذُنَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْأَجْرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٧﴾

ومعنى ﴿ما كان﴾ ما صح له وما استقام، وكان هذا يوم بدر، فلما كثر المسلمون نزل ﴿فإما منا بعد وإما فداء﴾<sup>(1)</sup> وروي: أن رسول الله ﷺ أتى بسبعين أسيراً فيهم العباس عمه وعقيل بن أبي طالب، فاستشار أبا بكر رضي الله عنه فيهم فقال: قومك وأهلك، استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك، وقال عمر رضي الله عنه: كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء، مكن علياً من عقيل، وحمزة من العباس، ومكني من فلان لنسيب له فاضرب أعناقهم، فقال ﷺ: «إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون اليين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال: ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾<sup>(2)</sup> ومثلك يا عمر مثل نوح قال ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾<sup>(3)</sup> ثم قال لأصحابه: «أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق» وروي أنه قال لهم: «إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعثتم» فقالوا: بل نأخذ

(3) سورة نوح، الآية: 29.

(1) سورة محمد، الآية: 4.

(2) سورة إبراهيم، الآية: 36.

لكم فيه، غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ عَلِمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يَرِيحُكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ بِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٧﴾

**﴿في أيديكم﴾** في ملكتكم كان أيديكم قابضة عليهم. وقرئ: من الأسرى **﴿في قلوبكم خيراً﴾** خلوص إيمان وصحة نية **﴿يؤتكم خيراً مما أخذ منكم﴾** من الفداء إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه، أو يثيبكم في الآخرة، وفي قراءة الأعمش: يثبكم خيراً، وعن العباس رضي الله عنه أنه قال: كنت مسلماً لكنهم استكروهني، فقال رسول الله ﷺ: «إن يكن ما تنكره حقاً فإله يجزيك، فإما ظاهر أمرك فقد كان علينا». وكان أحد الذين ضمنوا إطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك، وروي أن رسول الله ﷺ قال للعباس: «أقد ابني أخيك عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحرث»، فقال: يا محمد تركتني أتكف قريشاً ما بقيت، فقال له: «فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا أنري ما يصيبني في وجهي هذا؟ فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل». فقال العباس: وما يدريك؟ قال: «أخبرني به ربي» قال العباس: فإنا أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنت عبده ورسوله، والله لم يطلع عليه أحد إلا الله، ولقد دفعته إليها في سواد الليل، ولقد كنت مرتاباً في أمرك، فأما إذ أخبرتني بذلك فلا ريب. قال العباس رضي الله عنه: فأبلىني الله خيراً من ذلك، لي الآن عشرون عبداً إن أناهم ليضرب في عشرين ألفاً، وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي (2)، وروي أنه قدم على رسول الله ﷺ مال البحرين ثمانون ألفاً فتوضاً لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه، وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول: هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة، وقرأ الحسن وشيبة: مما أخذ منكم على البناء للفاعل.

وَإِنْ يُرِيدُوا حَيَاتِكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَنْكِرُنِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا وَإِنْ أَسْتَضَرُّكُمُ مِنَ الَّذِينَ فَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ لَأَعْلَىٰ قَوْلِهِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٩﴾

**﴿وإن يريدوا حياتك﴾** نكث ما بايعوك عليه من الإسلام والردة واستحباب دين آبائهم **﴿فقد خانوا الله من قبل﴾** في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه **﴿فأمكن منهم﴾** كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم

الفداء، فاستشهدوا بأحد، وكان فداء الأسارى عشرين أوقية، وفداء العباس أربعين أوقية. وعن محمد بن سيرين: كان فداؤهم مائة أوقية، والأوقية أربعون درهماً وستة دنانير، وروي: أنهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية، فدخل عمر على رسول الله ﷺ فإذا هو وأبو بكر يبكيان، فقال: يا رسول الله، أخبرني فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تبأكيت، فقال: «أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء، ولقد عرض علي عذابهم أبنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه» وروي أنه قال: «لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ» رضي الله عنهما لقوله: «كان الإثنان في القتل أحب إلي» (1) **﴿عرض الدنيا﴾** حطامها سمي بذلك لأنه حدث قليل اللبث يريد الفداء **﴿والله يريد الآخرة﴾** يعني: ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بالإثنان في القتل. وقرئ: يريدون بالياء، وقرأ بعضهم: والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه على حاله كقوله:

أكل امرئ تحسبين امرأً ونارتوقد بالليل ناراً  
ومعناه: والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني: ثوابها **﴿والله عزيز﴾** يغلب أوليائه على أعدائه ويتمكنون منهم قتلاً وأسراً ويطلق لهم الفداء ولكنه **﴿حكيم﴾** يؤخر ذلك إلى أن يكثرُوا ويعزوا وهم يعجلون.

تَوَلَّىٰ كِتَابَ مِنَ اللَّهِ سَقَىٰ لَسْكَمُ يَمًا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٨٠﴾

**﴿لولا كتاب من الله سبق﴾** لولا حكم منه سبق إثباته في اللوح وهو: أنه لا يعاقب أحداً بخطأ، وكان هذا خطأ في الاجتهاد؛ لأنهم نظروا في أن استبقاهم ربما كان سبباً في إسلامهم، وتوبتهم وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله، وخفي عليهم أن قتلهم أعز للإسلام وأهيب لمن وراءهم وأقل لشوكتهم، وقيل: كتابه أنه سيحل لهم الفدية التي أخذوها، وقيل: إن أهل بدر مغفور لهم، وقيل: أنه لا يعذب قوماً إلا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي، ولم يتقدم نهي عن ذلك.

فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا حَلَالًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨١﴾

**﴿فكلوا مما غنمتم﴾** روي أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يملوا أيديهم إليها فنزلت، وقيل: هو إباحة للفداء؛ لأنه من جملة الغنائم **﴿واتقوا الله﴾** فلا تقدموا على شيء لم يعهد إليكم فيه.

فإن قلْت: ما معنى الفاء؟ قلْت: التسبب والسبب محذوف معناه: قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم. وحلالاً نصب على الحال من المغنوم، أو صفة للمصدر أي: أكلاً حلالاً، وقوله: **﴿إن الله غفور رحيم﴾** معناه: أنكم إذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن

(1) رواه أحمد في مسنده 31/1.

(2) تقدم تخريجه.

إلى الهجرة كقولهم: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ (2) الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلاً منه وترغيباً ﴿وأولو الأرحام﴾ أولو القربيات أولى بالتوارث، وهو: نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة ﴿في كتاب الله﴾ تعالى في حكمه وقسمته وقيل: في اللوح، وقيل: في القرآن وهو: آية الموارث، وقد استدل به أصحاب أبي حنيفة رحمه الله على توريث نوي الأرحام. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء من النفاق، وأعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة، وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا» (3).

### سورة التوبة مدنية

لها عدة أسماء: براءة، التوبة، المقشقة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدممة، سورة العذاب لأن فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النفاق أي: تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها، وتحفر عنها وتفضحهم وتكلمهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمم عليهم، وعن حذيفة رضي الله عنه: أنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه.

فإن قُلْتَ: هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور؟ قُلْتُ: سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال: إن رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه السورة أو الآية قال: اجعلوها في الموضع الذي ينكر فيه كذا وكذا (4)، وتوفي رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أين نضعها، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما، وكانتا تدعيان القرينتين، وعن أبي بن كعب: إنما توهُموا ذلك؛ لأن في الأنفال نكر اليهود، وفي براءة نبذ اليهود، وسئل ابن عيينة رضي الله عنه فقال: اسم الله سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾ (5) قيل: فإن النبي ﷺ قد كتب إلى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم (6) قال: إنما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ إليهم، ألا تراه يقول: سلام على من أتبع الهدى، فمن دعي إلى الله عز وجل فأجاب، ودعي إلى الجزية فأجاب، فقد أتبع الهدى، وأما النبذ فإنما هو: البراءة واللعة، وأهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال: لا تفرق ولا تخف ومترس ولا بأس هذا أمان كله، وقيل: سورة الأنفال والتوبة سورة

إن أعادوا الخيانة، وقيل: المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الغداء. الذين هاجروا أي: فارقوا أوطانهم وقومهم حباً لله، ورسوله هم المهاجرون. والذين آوهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم هم الأنصار ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ أي: يتولى بعضهم بعضاً في الميراث، وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة نون نوي القربيات حتى نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ (1). وقرئ: من ولايتهم بالفتح والكسر أي: من توليهم في الميراث، ووجه الكسر: أن تولي بعضهم بعضاً شبيه بالعمل والصناعة كأنه يتوليه صاحبه يزاول امرأً ويباشر عملاً ﴿فعليلكم النصر﴾ فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين ﴿إلا على قوم﴾ منهم ﴿بينكم وبينهم﴾ عهد فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم؛ لأنهم لا يبتدئون بالقتال إذ الميثاق مانع من ذلك.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ إِيَّاكُمْ يَأْتُونَ الْآرْضَ بِسَاءِ كَيْدٍ ﴿٧٢﴾

﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ ظاهره إثبات الموالاة بينهم كقوله تعالى في المسلمين ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا بموارثتهم وإيجاب مباحةتهم ومصارمتهم وإن كانوا أقارب، وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضاً، ثم قال: ﴿إلا تفعلوه﴾ أي: إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضاً في التوارث تفضيلاً لنسبة الإسلام على نسبة القرابة، ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار. ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة، تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة؛ لأن المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على الشرك كان الشرك ظاهراً والفساد زائداً. وقرئ: كثير بالثاء.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٣﴾

﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾؛ لأنهم صدقوا إيمانهم وحققه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والانتسلاخ من المال لأجل الدين وليس بتكرار؛ لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل.

وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿٧٤﴾

﴿والذين آمنوا من بعد﴾ يريد اللاحقين بعد السابقين

= التوبة (الحديث رقم: 3086).

(5) سورة النساء، الآية: 94.

(6) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الوحي، باب: (6) (الحديث رقم: 7)

ومسلم في كتاب: الجهاد، باب: بدء الوحي.

(1) سورة الأنفال، الآية: 75.

(2) سورة الحشر، الآية: 10.

(3) نكره الثعلبي في تفسيره.

(4) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة باب: من جهر بهذا (الحديث

رقم: 786)، والترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: من سورة =